

المرأة في ظل الإسلام

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

حقوق المرأة

قال تعالى: ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ)) (١).

وقال سبحانه: ((مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)) (٢).

وقال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)) (٣).

وقال تعالى: ((يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا)) (٤).

إلى غيرها من الآيات الشريفة، مضافاً إلى الكثير من الروايات الدالة على حقوق المرأة ولزوم احترامها وحفظ كرامتها.

١- سورة البقرة: ٢٢٨.

٢- سورة الملك: ٣.

٣- سورة النساء: ١.

٤- سورة البقرة: ٣٥.

دعاة المساواة

غالب الكلام في موضوع (الحرية والمساواة) في عالم اليوم يدور حول حرية المرأة وحقوقها، والمساواة بينها وبين الرجل.. ودعاة المساواة وحقوق المرأة الغربيون هم أول من ظلمها حقها، ولتعاسة أغلب النساء في عالم اليوم تراهن يتمنين لو أنهن لو يسمعن بهذه الدعاوى ولم يستمعن إليها..

نعم، هناك من انتفع من هذه الدعاوى من النساء لكن ذلك اقتصر على شريحة معينة منهن، ويمكن أن نقول: أن الطبقة التي انتفعت من هذه الدعاوى هي بعض الطبقة (المترفة) أو قسم من الطبقة الغنية، أما الطبقات المسحوقة فكان نصيبها منها السحق والاضطهاد.

فإن دعاة المساواة وحقوق المرأة لما دعوا إلى نزول المرأة إلى ميدان العمل لمشاركة أخيها الرجل - كما يدعون - بحجة المشاركة في البناء، لم يحددوا نوع العمل الذي يجب أن يسند إليها ليتلاءم مع طبيعتها النسوية، مما دعا إلى ظهور إشكالات أخرى، فعندما تخرج المرأة للعمل وغالباً ما يكون عملها في الميادين التي لا يمكنها اصطحاب أولادها، فإنها تترك وراءها بيتاً فيه أطفال صغار بحاجة إلى خدمة ورعاية وليس هناك من يخدمهم ويرعاهم؛ لأن الأب هو الآخر يخرج كزوجته للعمل، فمن سيقوم برعاية هؤلاء الصغار إذن؟ ومن سيسد فراغ الأم؟!

هنا يبرز الرق مرة أخرى، لأن الذي سيقوم بخدمة ورعاية الأطفال بالإضافة إلى بقية الأشغال المنزلية هو أيضاً من نفس الجنس، أي أن من يسد مسد المرأة هي المرأة وبذلك ستبتلى امرأة أخرى باسم الـ (خادمة) أو ما أشبهه، وستتعمع أخرى باسم الـ (سيدة)، إذن ما الذي فعله دعاة حقوق المرأة، أو هل أن الدعاوى تختص (بالسيديات) دون (الخادمات)؟!

فإذا كان هدف الدعاة هو التحرر والخروج للعمل فلماذا تخرج واحدة، لتخفق واحدة أخرى أو أكثر؟! هذا من جانب، أما الجانب الآخر فهو ما يختص بالعمل نفسه، فلماذا تختص وتقتصر الميادين السهلة على شريحة معينة من (المترفات)، في حين أن الميادين الشاقة تكتظ بالطبقات العامة من (المسحوقات)؟ فهل تتناسب هذه الأعمال الشاقة مع طبيعة المرأة؟ فإذا كان الجواب: نعم، فلماذا تستنكرون الأعمال التي تقوم بأدائها المرأة الريفية في بلادنا من حراثة ورعي وجمع حطب، وما يتطلبه ظرف الريف، وتدعون بأن المرأة الشرقية مضطهدة من قبل الرجل؟ وأن وظيفتها شاقة ومرهقة؛ ولذلك تزعمون أنكم تطالبون بتحررها؟ فهل تحررها في نظركم هو جلوسها في البيت دون مشاركتها الرجل في العمل خارج البيت، أم تحررها في خروجها إلى الحقل للمشاركة في العمل الشاق الذي يشابه الأعمال الشاقة التي تؤديها نساء الطبقات (المسحوقة) في بلدان تدعي (تحرر المرأة)؟!

هذا إذا كان الجواب: نعم، أي إذا كانت تلك الأعمال الشاقة تتناسب مع طبيعة المرأة. أما إذا كان الجواب (لا)، أي أن الأعمال الشاقة لا تتناسب مع طبيعة المرأة، فلماذا تكلفون المرأة بما لا تطيق بدعاواكم هذه؟ وتدعون أنكم تريدون إنصاف المرأة؟ كما تدعون المطالبة بحقوقها، فهل من الإنصاف أن

تطالبوا برفع الحيف عنها بتكليفها بما لا يطاق لتصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار..؟
أم أن هناك شيئاً آخر دفعكم لمثل هذه الدعاوى؟!

شعار تحرر المرأة ماركة تجارية

مما سبق نعرف أن دوافع إطلاق مثل هذه الشعارات المزيفة كثيرة، منها ما خفي ومنها ما ظهر. لكن الدافع الأقوى كان دافعاً اقتصادياً بحتاً حيث إن إطلاق مثل هذه الدعاوى برز على أثر الثورة الصناعية في الغرب، وما نجم عنها من توسع في الدوائر الإنتاجية ووسائلها، وتزايد رؤوس الأموال ونفوذ أصحابها في مراكز القرار ومواطن الدعاية والإعلام، والشيء الذي جعلهم يروجون لمثل هذه الدعاوى واضح، حيث إن مؤسساتهم الإنتاجية الواسعة بحاجة إلى أيدي عاملة وبأجور منخفضة، حيث إن العمل في مؤسساتهم كان مقتصرًا على الرجال، فبهذه الدعاوى حصلوا على كم هائل من الأيدي العاملة الرخيصة لديمومة إنتاجهم وزيادته بكلفة أقل وذلك عن طريق استخدام النساء كأيدي عاملة رخيصة لتشغيل مؤسساتهم من وراء دعاوهم تلك.

مضافاً إلى أنهم لترويج بضاعتهم والدعاية لها جعلوا من المرأة آلة رخيصة للإعلان وهتكوا عزها وسترها بذلك، كما جرّوها إلى الفساد والدعارة ليحصلوا عن طريقها على الأرباح الهائلة، فكان الهدف من هذه الشعارات الاستثمار الاقتصادي عبر المرأة المسكينة(١)!

أي المجتمعين أفضل للمرأة؟

لو خيرنا المرأة العاقلة بين العيش في ظل المجتمع الغربي وبين العيش في ظل المجتمع الإسلامي فماذا ستختار بعد أن تطلع على كل ما لها وما عليها من المجتمعين؟
فهي بين أمرين أما أن تختار: الحشمة، والوقار، والعفة، والكرامة، والفضيلة، والعزة، والأخلاق، والتقدم،

١- نشرت محطة (CNN) الإخبارية الأمريكية تقريراً خطيراً أكدت فيه انتشار ظاهرة تجارة الرقيق من النساء حول العالم لاستخدامهن في الأعمال الجنسية المحرمة. كما أشار التقرير إلى أن معدلات هذه الظاهرة تزيد عاماً بعد عام. وقد أكد التقرير بناءً على أبحاث قام بها فريق بحث في جامعة (Johns Ho) (صلى الله عليه وآله) (عليهم السلام) (ns) بولاية ميرلاند بالولايات المتحدة أن هناك (٢ مليون) امرأة وطفلة يتم بيعهن كعبيد سنوياً. وفي تقريرها السنوي أشارت منظمة العفو الدولية إلى التجاوزات الخطيرة التي تحدث بحق المرأة في كثير من دول العالم بل وعنونت المنظمة تقريرها بـ(أجساد مكسورة وعقول مشتتة) وتنقل المنظمة إلى أن هناك امرأة تتعرض للضرب كل (١٥ ثانية) وسبعمئة ألف يتعرض للاغتصاب سنوياً في الولاية المتحدة الأمريكية.

وكل الصفات الحسنة التي تزيدها فخراً وشمواً.

وإما أن تختار: الفساد، والاتحلال، والانهيار، والوقاحة، والهوان، والرديلة، والذل، والخداع، والغش، وكل الصفات السيئة التي تحط من قدرها، وتجعلها لعبة دنينة يعبت بها من أراد ثم ينبذها بعد أن يملأها. وقطعاً إن المرأة العاقلة ستختار الفضيلة، أما غيرها فستفضل الرديلة وتنغمس فيها دون الالتفات للهوان الذي ينزل بها، فيسهل عليها الهوان، كما قال الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه*** ما لجرح بميت إيلام

فهل أن العيش أفضل في ظل مجتمع يجعلها سائبة تبحث وراء لقمة العيش، وتلاقي ما تلاقيه من تعب ونصب وإهانة وازدراء، وهدر للكرامة وتعرض للآلام وانغماس في المزالق؟ أم العيش أفضل في ظل مجتمع يكفل لها عيشها، ويضمن لها حرمتها، ويصون كرامتها، ويدعها تعيش في بحبوحة من الرفاه والعيش الرغيد بفخر واعتزاز؟ وهل أن العيش خير لها في مجتمع يحرّمها من حقها الطبيعي في الحياة وهو الأمومة - وهو حلم كل فتاة - ليجعلها سلعة تعرض في سوق المستهلكين، أو ليجعلها كره يتلقفها الصولجان ليرميها إلى آخر؟ أم أن العيش خير لها في مجتمع يمنحها دستور الكريمة كل شيء، فيقول: ((هَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لِهَنْ)) (١).

أين هي المساواة؟

كثيراً ما أطلق شعار المساواة بين المرأة والرجل من قبل التقدميين حسب ادعائهم، حتى بلغ ذلك درجة الضجيج، فهل المساواة هي في تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة، والاختلاط المبتدل؟ وأين هذه المساواة التي أصبحت علامة تجارية في الغرب، من المساواة التي يصرح بها القرآن الكريم: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)) (٢)؟ وأين هي من قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ)) (٣). وكذلك قوله تبارك وتعالى: ((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِمِينَ وَالصَّانِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)) (٤).

فالمرأة إلى الآن لم تحصل على أقل حقوقها في الغرب وكل ما حصلت عليه من المساواة هو ابتذالها وجعلها

١- سورة البقرة: ١٨٧.

٢- سورة النساء: ١.

٣- سورة الحجرات: ١٣.

٤- سورة الأحزاب: ٣٥.

في تناول الأيدي بغية الحصول عليها بسهولة لمن أراد ذلك، حالها حال بقية المعروضات، بل قد تفضلها بعض تلك المعروضات، لما تجده من صيانة واضحة أثناء العرض.. أو ما توسم به من ثمن باهظ!!
وغاية ما حصلت عليه هو إهانتها، فتارة تستخدم (كعارضة أزياء) وتارة للدعاية التجارية الرخيصة، كاستخدام صورتها على أغلفة الصابون، وأخرى للترويج، كتوظيفها في المحلات التجارية (كبانعة أو خادمة في المطعم) والى كثير من هذه الحالات التي تحط من قدر المرأة وتجعلها سلعة تباع وتشتري.. بغض النظر عن الأشغال الشاقة التي تقوم بأدائها المرأة وهي خارجة عن طاقتها وغير مناسبة للطاقاتها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانه (١)، كما ورد في الحديث الشريف كما ذكرنا سابقاً. إذن فأين هي المساواة!؟

التشبه بالرجال.. يعني الاسترجال

إذا كانت المساواة تعني التشبه كما يرى البعض، فهذا يعني أن المراد من ذلك هو أن تتخلى المرأة عن أوثقتها للتحوّل إلى ذكر.. وهذا ما ياباه العقل، وترفضه الأنثى، حيث يعني ذلك أن المرأة ستترك دورها لتؤدي دور الرجل.

وهنا ستختل الموازين الطبيعية، ويحل الخراب، وعلى تعبير بعض الحكماء: إن البيت الذي تمارس فيه الدجاجة دور الديك مصيره إلى الخراب. وهذا الحال يشمل الرجال أيضاً لو تشبهوا بالمرأة.
وكلامنا هنا حول (التشبه) بكل الجنسين فهو منبوذ ومرفوض لما له من أثر سلبي على سير الحياة الطبيعية ومخالفته للنواميس الطبيعية، وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال له: «أخرج من مسجد رسول الله يا من لعنه رسول الله». ثم قال علي (عليه السلام): «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لعن الله المنتشبهين من الرجال بالنساء والمنتشبهات من النساء بالرجال» (٢).

إذن تشبه النساء هو غير مساواتهن لهم، فأن تكون المرأة مسترجلة هو شيء مستهجن، وعلى النساء أن يرفضن حتى لو فرض عليهن فرضاً؛ لأن ذلك يعني أن نفرض على المرأة ما لا يناسبها ولا ينسجم مع عواطفها وخلقتها، ونفصلها عن شخصيتها التي تعتز بها، وتتقص شخصية أخرى لا تلائمها ولا تحقق لها رغباتها، فهي تجد سعادتها مثلاً في شعورها بأنها في أسرة محترمة تقوم بدورها كام وكزوجة، ويحميها رجل قوي وهو شيء طبيعي لدى المرأة السوية. لكن هذا الشعور لا يتوافق مع شخصيتها الجديدة المتقصة.
كذلك نجد أن الأدوار التي ستمارسها عند تقمصها لشخصية الرجل لا تنسجم مع ما يبحث عنه الجنس

١- راجع غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٨ الفصل الرابع في النساء ح ٩٣٨٠، وفيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا تملك المرأة ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانه».

٢- علل الشرائع: ص ٦٠٢ ب ٣٨٥ نواذر العلل ح ٦٣.

الآخر، فكل جنس يميل إلى المخالف لجنسه. أما أن تأتي المرأة لتتشبه بالخشونة والبطولة وما شابه، فهذا يعني أنها أصبحت محل اشمئزاز ونفور، وهذا ليس ثوبها..
أما رأي الإسلام فيها فهو الصواب التي يتضمن سعادتها في الدارين، وقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة..» (١).
فهذه هي شخصية المرأة التي لا بد لها أن تحافظ عليها؛ لذلك ينهى الإسلام عن تشبهها بالرجال لأنها ستفقد أعز خاصية إلى نفسها، وهي أن ترى نفسها أنثى مرغوباً فيها من قبل زوجها كما أراد الله تعالى ذلك.

مكانة المرأة

إذا كان الرجل يمثل العين أو اليد اليمنى للمجتمع فالمرأة بمثابة العين أو اليد اليسرى له، وقد كان البعض يقول:

إن كان الرجل يمثل النهار بما فيه من عمل وطلب للفضل فإن المرأة تمثل الليل بما فيه من سكن وسكينة.
وقد قال تعالى: ((جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)) (٢).
من هذه الآية الكريمة نعرف أن السكن والسكينة والاستقرار والراحة بعد التعب أو قل ما شئت بخصوص ذلك كله يعود إلى الليل.

وقال تعالى في آية أخرى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)) (٣).

أما العمل وطلب الفضل والمعاش فكله يعود إلى النهار.. ويوضح ذلك قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)) (٤).
ولا يمكننا أن نفضل الليل على النهار ولا النهار على الليل، فالحياة بحاجة إلى النهار وضيائه والليل وسكونه.

أي بحاجة للمرأة والسكون إليها والرجل وما يقدمه من عمل، هذا خلاصة تمثيل ذكره البعض، ومن الواضح أن المقصود ليس المعنى الحرفي للمثال، وإلا فالمرأة لها دورها المشروع في المجتمع وهي أيضاً بإمكانها أن تقدم أعمالاً كثيرة تناسب شأنها وكرامتها.

١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٨ ح ٩٣٨٠ الفصل الرابع في النساء.

٢- سورة القصص: ٧٣.

٣- سورة الروم: ٢١.

٤- سورة النبأ: ١٠ - ١١.

التساوي في الشرع الإسلامي

قال تعالى: ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) (١) إن المرأة لها مكانة في الإسلام مساوية لمكانة الرجل في جميع الحقوق والواجبات والأصل هو التساوي في ذلك، إلا بعض المستثنيات التي هي في مصلحة الرجل والمرأة كليهما فالرجل هو الأب، والمرأة هي الأم وهذا لا يعني الظلم بحق أحدهما، بل هو المناسب لخلقتهما وعواطفهما وكذلك في درجة القوامة حيث قال تعالى: ((وَالرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْقَضُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) (٢).

فإن: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْقَضُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) (٣) ودرجة القوامة هذه ليست نقصاً في المرأة مطلقاً بل القوامة أو (القيادة أو الإمارة) شيء لا بد منه لتسيير الحياة بصورة منظمة و.. إنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر (٤) أي أن القوامة مفروضة حتى على الرجل نفسه، فهل أن الرجال يرفضون تنصيب قائد عليهم؟

والمفروض أن مجموعة من الرجال إذا سافروا فعليهم أن يرشحوا أحدهم للإمارة، فكيف إذا كان ذلك في بيت واحد يحتوي على ذكر وأنثى وأولاد وبنات.. وكان ذلك في الغالب مدى الحياة، أفلا يرشح أحدهما للإمارة أو القوامة؟ وكل القوانين الطبيعية ترشح الذكر، وليس الحال هذا خاصاً بالإنسان وحده، بل إن ذلك لدى الحيوانات والطيور أيضاً.

فنرى أن الذكر هو المتقدم على الأنثى في السير، أو أن الذكر هو الذي يسعى للحصول على الطعام والحماية، في حين أن الأنثى وظيفتها الحضانة والرعاية، ولعل ذلك سنة الله عز وجل في مخلوقاته جميعاً.

ولها دور العالم

قال تعالى: ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَإِلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا)) (٥).

إن الرجل هو المسؤول الأول عن توفير الحماية للبيت، وتوفير كل مستلزمات العيش والسكن.. ولننقل: إن المرأة (مدللة) في ظل الرجل وهذا لا يعني أن المرأة معطلة بلا عمل؟ وأن وظيفتها فقط توفير الجو البيئي الملائم للرجل؟ بل إن لديها عملاً أعظم من هذا؟ ومن أعظم مهامها هو تربية الأجيال التي ستمسك بأزمة المجتمع.. فإن الكثير ممن يدعي (التقدم) يقول: إن المرأة في الإسلام سجينه أربعة جدران، وهي معطلة عن العمل، وإن النصف الثاني من المجتمع مشلول! وإن المرأة غير منتجة بل مستهلكة!

١- سورة البقرة: ٢٢٨.

٢- سورة البقرة: ٢٢٨.

٣- سورة النساء: ٣٤.

٤- نهج البلاغة، الخطبة: ٤٠.

٥- سورة النساء: ٣٢.

لكن أيها المدعي لماذا لا تجر إشكالك هذا إلى العلماء والفلاسفة والكتّاب والمفكرين الكبار والشعراء وغيرهم، الذين يجلسون في غرفهم الخاصة ويسجنون أنفسهم بين أربعة جدران! فهم ممن يقدمون أكبر الخدمات للمجتمع مع كونهم جالسين في بيوتهم.

أليست المرأة كالعالم والفيلسوف.. فلو قارنا بينه وبينها في العمل لكانت خدمتها للمجتمع لا تقل درجة عن خدمة العالم له، فالعالم وظيفته إعداد الجيل..! والمرأة وظيفتها إعداد الجيل أيضاً، وهي أشرف وظيفة وأقدس عمل.. ولذلك يقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها***أعددت شعباً طيب الأعراق

وكذا الحال بالنسبة للأدباء والمفكرين وغيرهم، فإن وظيفتهم بناء الجيل وتربيته ومن وراء أربعة جدران أيضاً، حيث أن عملهم يتطلب التأمل والتفكير، ولا يتم لهم ذلك إلا في الجلوس بين هذه الجدران.. كما أن عملهم هذا ليس إنتاجياً بل خدمة كبيرة للمجتمع، فلماذا هذا التمييز بين المرأة وهؤلاء؟! فالمرأة مثلها مثلهم، واجبتها ووظيفتها أن تربي الأجيال، وتعددهم إعداداً كاملاً للمستقبل؛ ليكونوا رجاله العظام.

أي أن المرأة (مصنع الرجال العظام).. فهل هناك فخر، أكبر من هذا.

فتلك سيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) انظر ماذا أعدت وقدمت.

وتلك أم البنين (عليها السلام) فانظر إلى ما أعدت أيضاً وقدمت.

وبعد هذا الإعداد والإنتاج العظيم فما ينبغي على المرأة أن تنتج؟! وما نوع الإنتاج المطلوب؟!!

إن يمكننا أن نقول: إن الإعداد والتربية من باب «الفريضة» على المرأة، أما عمل المرأة في المجالات الأخرى المناسبة لها خارج البيت فهو من باب «النافلة».

وقد وزع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الأدوار بين الإمام أمير المؤمنين علي وفاطمة (عليهما السلام)، وجعل (صلى الله عليه وآله) باب الدار حداً فاصلاً بين عمل الإمام (عليه السلام) وعمل فاطمة (عليها السلام)، حيث إن الباب وما دونه داخل البيت هو من واجبات فاطمة (عليها السلام)، والباب وما وراءه خارج البيت هو من واجبات أمير المؤمنين (عليه السلام)(١).

١- انظر قرب الإسناد: ص ٢٥، وفيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخدمة، فقضى علي فاطمة بخدمته ما دون الباب، وقضى علي علي ما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله، بإكفاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمل أرقاب ((كذا في المصدر)) الرجال».

المعززة المكرمة

المرأة في ظل الإسلام معززة ومكرمة بشكل لم ير التاريخ لها عزاً وكرامة إلا في تعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): «إذا جاء أحدكم بشيء لأولاده فليبدأ بالإناث قبل الذكور» (١).
وقال (صلى الله عليه وآله): «خير أولادكم البنات» (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ومن فرح ابنته فكأنما اعتق رقبة ولد إسماعيل» (٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «البنات حسنات والبنون نِعَمٌ، والحسنات يُثاب عليها والنعم مسؤول عنها» (٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من عال بنتاً من المسلمين فله الجنة» (٥).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه يرزقه بنتاً تبكيه وتندبه بعد الموت» (٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نعم الولد البنات، ملطفات متلطفات مجهزات، مونسات، مباركات مغليات» (٧).

والآن بعد هذه المأثورات الشريفة، ألا يحق للبنات أن ترفع رأسها شموخاً في ظل الإسلام؟ فهل هناك حيف واقع عليها؟.. ألا يفهم من هذا أن البنت معززة ومكرمة في ظل الإسلام؟ بل هي المفضلة في كل هذه الأحاديث الشريفة؟ ثم ألا يجدر بالولد أن يطالب بالمساواة معها؟! فهل هنالك مجتمع غير الإسلام يمنحها هذا الشرف وهذا التكريم الذي لا يعرف الحدود؟ كل هذا لأجل عيني البنت، فماذا تبتغي البنت أكثر من هذا؟!

وقد كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يحب ابنته فاطمة (عليها السلام) ويجلها ويكتفيها بـ (أم أبيها) (٨). أما الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد عامل بناته (عليهن السلام) بنفس أسلوب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، أما الإمام الحسين (عليه السلام) فمواقفه مع ابنته سكيئة (عليها السلام) معروفة.. فقد كان (عليه السلام) يصفها بأنها غالب عليها الاستغراق في ذات الله.. وكان يلقبها بخيرة النساء..

١- راجع أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص ٥٧٧ المجلس ٨٥ ح ٦ ، وفيه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاييج وليبدأ بالإناث قبل الذكور..».

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٦ ب ٣ ح ١٧٧٠٨.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٢٧ ب ٣ ح ١.

٤- كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٠٥.

٥- غوالي اللئالي: ج ٣ ص ٢٩٤ باب النكاح ح ٦١.

٦- عدة الداعي: ص ٨٩.

٧- عدة الداعي: ص ٨٩.

٨- المناقب: ج ٣ ص ٣٥٧ فصل في حليتها وتواريخها (عليها السلام).

وقد كان يحبها حباً جماً، وقد استشهد على ذلك بشعر (١).. يبرز فيه مدى حب الإمام (عليه السلام) لابنته سكينه وزوجته الرباب وهو:

«لعمرك أنني لأحب داراً***تحل بها سكينه والرباب» (٢)

الأخت

هذا عن تكريم البنات، أما عن تكريم الأخوات فلا يقل شأناً عن تكريم البنات.. ونبدأ من تكريم الرسول (صلى الله عليه وآله) لها فقد ورد أنه (صلى الله عليه وآله) كان جالساً المجلس، وقد دخلت عليه امرأة فقام إجلالاً لها، وعظمها، وافترش لها رداءه، فجلست وراح يحدثها، ويصغي لكلامها، وهو مقبل عليها بكله، حتى إذا فرغت من الكلام، وقامت منصرفه، ودعها النبي (صلى الله عليه وآله)، وسار خطوات معها، تقدم أحد الأصحاب يسأله عن هذه المرأة التي استحقت كل هذا التكريم منه، فقال (صلى الله عليه وآله): إنها أختي من الرضاعة، إنها شيماء بنت حلينة السعدية (٣)!

أما مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) مع أخته السيدة زينب (عليها السلام) فقد تجلت لنا في واقعة الطف وقد أعدّها لما بعد واقعة الطف وعود عليها في إكمال دوره في ثورته.. وقد كان يجلّها ويحترمها إلى أبعد الحدود، وقد كان يحاورها كعالمة وحليمة، فقله لها قبل بدء المعركة: «يا أختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان» (٤) دليل واضح واعتراف صريح من إمام معصوم بـ (حلم) سيدتنا زينب (عليها السلام) وكان تعامله معها دائماً على هذا الأساس.

ونكتفي بهذا القدر من الشواهد على تكريم الأخت فهي كثيرة جداً.

١- راجع المناقب: ج ٤ ص ١٠٩ فصل في مقتله (عليه السلام)، وفيه: ... ثم ودع النساء وكانت سكينه تصيح فضمها إلى صدره وقال:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي***منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي به معك حسرة***مادام مني الروح في جثمانيوإذا قتلت فأنت أولى بالذي***تأتينه يا خيرة
النسوان

٢- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٦ ب ٣٧.

٣- أنظر قصص الأنبياء للراوندي: ص ٣٥١ ح ٢٦ ٤ فصل في مغازيه (صلى الله عليه وآله)، وراجع حلية الأبرار: ص ٢٠٤ ح ٦.

٤- اللهوف: ص ٨٣ المسلك الأول..

الزوجة

أما تكريم الزوجات فهذا ما غصت به كتب الروايات الشريفة، وقد رحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يوصي بالمرأة خيراً. والإسلام منح الزوجة حقوقاً ساوت حقوق الزوج إن لم نقل فاقت عليها في بعض الأحيان، فقد حذر الإسلام من الاعتداء والتجاوز عليها وعلى حقوقها.

وكان التحذير شديد اللهجة، فيقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): «اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، فإن خياركم خياركم لأهله» (١).

وعنه أيضاً (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (٢).

هكذا يتعامل الإسلام مع المرأة (الزوجة) بالمعروف أولاً وأخيراً، فقد قال تعالى: ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) (٣) كما يقول تعالى: ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) (٤).

وقد كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يشارك فاطمة (عليها السلام) في كثير من الأعمال المنزلية فقد كان يتناوب معها على (الرحى) لطحن الحبوب، وإن الرجل الذي يشارك امرأته في مثل هذه الأعمال يُعدّ من السعداء وأهل المعروف، فعلى الزوج أن يكون رفيقاً بزوجته ورفيقاً لها.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «دخل علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة جالسة عند القدر، وأنا أنقي العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبيك يا رسول الله.

قال اسمع مني، وما أقول إلا من أمر ربي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله تعالى من الثواب مثل ما أعطاه الله الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى (عليهم السلام).

يا علي، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف، كتب الله تعالى اسمه في ديوان الشهداء وكتب له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة وأعطاه بكل عرق في جسده مدينة في الجنة. يا علي، ساعة في خدمة العيال خير من عبادة ألف سنة وألف حجة وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة وألف غزوة وألف عيادة مريض، وألف جمعة وألف جنازة، وألف جانع يشبعهم وألف عار يكسوهم، وألف فرس يوجهها في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدق على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن ألف أسير أسر فأعتقها وخير له من ألف بدنة يعطي للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة.

يا علي، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب، يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر وتطفئ غضب الرب، ومهور حور العين، ويزيد في الحسنات والدرجات.

١- قرب الإسناد: ص ٤٤.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ١٢٢ ب ٨٨ ح ٨.

٣- سورة النساء: ١٩.

٤- سورة البقرة: ٢٢٨.

يا علي، لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»(١).
 كما عليها أن تكون هي كذلك فإن «جهاد المرأة حسن التبعل»(٢) أي أن للمرأة أجر المجاهد دون أن
 تشترك في المعركة، وذلك بمجرد حسن تبعلها.
 وقد قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»(٣).
 فانظر كيف يمهد الإسلام سبل السعادة الزوجية ويشد الزوجين إلى بعضهما ويبني حولهما سوراً منيعاً
 للعيش بداخله في بحبوحة الهدوء والطمأنينة والسلامة والاستقرار.

أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك!

وأما الأمهات فقد وضعت الجنة تحت أقدامهن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الجنة تحت أقدام
 الأمهات»(٤) وجاء رضاهن بعد رضا الله تعالى والإحسان إليهن جاء بعد عبادة الله سبحانه: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)) (٥).
 وورد أن عقوق الأم من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله «وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة»،
 وقال (صلى الله عليه وآله): ((أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين)) (٦) والبر للأُم يتقدم على البر للأب
 بثلاث مراتب!

فقد جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله من أبر؟
 قال (صلى الله عليه وآله): أمك.
 قال: ثم من؟
 قال (صلى الله عليه وآله): أمك.
 قال: ثم من؟
 قال (صلى الله عليه وآله): أمك.
 قال: ثم من؟

-
- ١- جامع الأخبار: ص ١٠٢ الفصل ٥٩ في خدمة العيال.
 - ٢- وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ١٦٢ ب ١٢٣ ح ١.
 - ٣- نهج الفصاحة: ص ٢٠٥ ح ١٠٢٢.
 - ٤- انظر مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٣، وفيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وقال (صلى الله عليه وآله): «تحت أقدام الأمهات روضة من رياض الجنة..».
 - ٥- سورة الإسراء: ٢٣.
 - ٦- مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٩٣ ب ٧٥ ح ١٧٩٧٧.

قال (صلى الله عليه وآله): أباك (١).
وهكذا إلى كثير من الشواهد التي تؤكد على منزلة الأم لدى الإسلام.

إلى جانب العظام

قالوا: إلى جانب كل رجل عظيم امرأة!
ولنبداً بأعظم خلق الله محمد (صلى الله عليه وآله).
فهناك نساء عدة في حياته فمن هي المرأة العظيمة التي وقفت إلى جانبه؟
ومن هي المرأة التي شدت على ساعده؟ ومن هي المرأة التي صدقته حين كذبه الناس وأمنت به إذ كفر
الناس؟

تلك هي خديجة الكبرى (رضوان الله عليها).
وقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قال: «ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) خديجة يوماً
وهو عند نسائه فبكى، فقالت عائشة: ما يبكيك على عجوز حمراء من عجانز بني أسد؟
فقال (صلى الله عليه وآله): صدقتني إذ كذبتكم، وأمنت بي إذ كفرتم، وولدت لي إذ عقمتم» (٢).
لقد كانت خديجة هذه المرأة العظيمة من أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً وكل قومها قد كان
حريصاً على الاقتران بها لو يقدر عليه. إلا أنها فضلت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل بعثته على كل
الأشراف من قومها.. على الرغم من كونه مقلداً في المال. وذكر المحققون أن خديجة (رضي الله عنها) كانت
من النساء أول من آمن بالله ورسوله وصدقته بما جاء من عند الله، وآزرته على أمره، فخفف الله بذلك عن
رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله
ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بها، فإذا رجع إليها تخفف عنه، وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت
رحمها الله (٣).

نعم لقد كانت تصبره فطالما قالت له: «يا بن عم اثبت وابشر» (٤).
وقد أنفقت كل أموالها في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وعانت معاناة في حياتها تفوق التصور من أجل
مساندة دعوة زوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أن ماتت بعد الحصار الذي فرضه المشركون على
بني هاشم في شعب أبي طالب، بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام، وسمي ذلك العام بـ (عام الحزن) تأبيناً لتلك
المرأة العظيمة واعتزازاً بها.

١- الكافي: ج ٢ ص ١٥٩ ح ٩.

٢- بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٨ ب ٥ ح ١٢.

٣- أنظر بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١١ ب ٥ ح ١٢.

٤- راجع كشف الغمة: ج ١ ص ٥١١ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد (عليها السلام).

نموذج آخر

وبعد ما ذكرنا من تضحية السيدة خديجة ومكانتها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ننتقل الكلام إلى ابنة هذه المرأة العظيمة (عليها السلام)، فهي سيدة نساء العالمين، وقد وقفت إلى جانب زوجها (عليه السلام) نعم، إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقفت إلى جانب زوجها أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، كما وقفت أمها إلى جانب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله). وقد زادت عليها بأنها وقفت إلى جانب أبيها (صلى الله عليه وآله) بالإضافة إلى وقوفها إلى جانب زوجها (عليه السلام)، ومواقفها مشهودة ومشرفة والأمثلة كثيرة على ذلك، مضافاً إلى كونها أفضل أم حيث ربت الحسن والحسين والسيدة زينب وأم كلثوم (عليهم السلام). أما باقي النساء اللاتي وقفن إلى جانب الرجال العظماء فأمثالهن كثيرة أيضاً ومن أعظمهن زينب (سلام الله عليها) حيث وقفت بجانب أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) في مواقف مشرفة خلدها التاريخ. ومن تلك النساء أيضاً:

هاجر التي وقفت إلى جانب النبي إبراهيم (عليه السلام).

وامرأة أيوب التي وقفت إلى جانب النبي أيوب (عليه السلام) في شدته.

وزوجة حجر بن عدي الكندي (رضي الله عنهما) (١).

والرباب زوجة الإمام الحسين (عليه السلام) (٢).

وزوجة وهب (رضوان الله عليه) في معركة الطف التي وقفت إلى جانبه دفاعاً عن الحسين (عليه السلام) (٣) حتى استشهدت (٤).

وزوجة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) حميدة.

١- حجر بن عدي الكندي من أصحاب أمير المؤمنين وكان من الأبدال، انظر رجال العلامة الحلي ص ٥٩، وهو القائل: «قال لي علي (عليه السلام): كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعنتي؟ قلت له: كيف أصنع؟ قال: العني ولا تبرأ مني فأني على دين الله، ولقد ضربه محمد بن يوسف وأمره أن يلعن علياً وأقامه على باب مسجد صنعاء، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، فما رأيت من الناس إلا رجلاً فهمها»، راجع رجال الكشي: ص ١٠١ ح ١٦١ (حجر بن عدي الكندي).

٢- الرباب بنت امرؤ القيس بن عدي بن أوس وهي أم سكينه وعبد الله بن الحسين (عليه السلام) الذي استشهد وهو في حجر أبيه (عليه السلام) في يوم عاشوراء، راجع مقاتل الطالبين: ص ٥٩.

٣- راجع اللهوف: ص ١٠٥ وهو (رض) وهب بن جناح الكلبلي الذي كانت معه زوجته وأمه في كربلاء يوم عاشوراء، وكانت تدفعانه لابل تقاتلان معه فداءً لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وحرّم رسول الله (صلى الله عليه وآله)...

٤- بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٤ ب ٣٧.

وزوجة الإمام العسكري (عليه السلام) نرجس (عليها السلام) والددة الإمام المهدي (عليه السلام) وهي امرأة في غاية الإيمان والفضيلة ومرقدها عند ضريح الإمام الهادي (عليه السلام) في سامراء ولها زيارة خاصة كزيارة الإمام الهادي (عليه السلام).

ومن الأمهات أيضاً:

أم عيسى (عليه السلام) مريم بنت عمران (عليها السلام).

وأم موسى (عليه السلام) حيث قال تعالى: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ)) (١).

وأم إسماعيل (عليه السلام) هاجر.

وأم عمار ابن ياسر (سمية).

وأم وهب في معركة الطف أيضاً.

وأم القاسم (عليها السلام) رملة.

والمرأة العظيمة التي ضحت بأربعة رجال عظام وهي أم البنين (سلام الله عليها).

وأما الأخوات فمنهن كلثم أخت موسى (عليه السلام) والحوراء زينب (عليها السلام) وأختها أم كلثوم، وشيماء أخت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من الرضاعة.

ومن البنات إضافة إلى فاطمة (عليها السلام) بنت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وزينب بنت أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، نجد سكينه بنت الحسين (عليه السلام) وبنتي النبي شعيب (عليه السلام) ... إلى شخصيات نسائية أخرى كثيرة.

ولا ننسى بعد هذا المورد أن نذكر امرأة عظيمة الشأن لكنها تحت إمرة رجل كافر وهي زوجة فرعون آسيا بنت مزاحم، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون» (٢).

مهمات ووظائف

هناك مهمات عديدة ملقاة على الجميع وعلى عاتق النساء على وجه الخصوص نشير إلى بعضها:

١: يجب تربية الفتيات الصغيرات تربية إسلامية صحيحة من خلال تعليمهن القرآن وتفسيره، وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وتاريخ الأنمة الأظهر (عليهم السلام)، وتفسير نهج البلاغة، وبقية الآداب الإسلامية كالصلاة، والصوم، وغير ذلك من العبادات.

٢: تعليم الفتيات كيفية إدارة بيت الزوجية في المستقبل لكونهن زوجات وأمهات في المستقبل وهذا فن لا بد من تعلمه جيداً.

١- سورة القصص: ٧.

٢- الخصال: ص ٢٠٥ ح ٢٢.

٣: لابد من تعليمهن الصناعات اليدوية من حياكة السجاد، والخياطة، والتطريز، وشغل فراغهن بما ينفعهن وينفع أسرهن.

٤: دعوة البنات إلى القيام بكافة الأعمال المنزلية منذ الصغر لإتقان ذلك والاستئناس به عند الكبر.

٥: تحفيظهن القرآن الكريم، فنحن عندما كنا في كربلاء المقدسة أسسنا مدارس متعددة لحفظ القرآن للأولاد بنين وبنات، وكان عدد الحافظات ما يقارب (١٥٠٠) بنت، كن يحفظن القرآن بالإضافة إلى أعمالهن المنزلية وتعلم الخياطة، والتطريز. فإن تعلم مثل هذه الأمور مفيد في المستقبل؛ إذ يمكن لهن أن يساهمن في إدارة احتياجات المنزل مع الرجل، إذ تذكر الروايات أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت تعمل بعض الأعمال في المنزل؛ لتعين الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في خارج البيت، في الوقت الذي كانت إدارة البيت آنذاك صعبة بكثير مما هي عليه اليوم، حيث أنه كثرت الوسائل وأعمال المنزل التي تدار عبر الأجهزة الكهربائية الحديثة، وأما قديماً فقد كانت النساء يطحنن الشعير ويصنعن الخبز، إلى غير ذلك من الأمور التي قلما نراها في حياتنا الحاضرة.

٦: لابد للنساء من أن يضعن صناديق خيرية لجمع التبرعات والمساعدات في سبيل ثقافة المرأة المسلمة فهناك الكثير من العوائل التي لها بنات صغيرات يردن الذهاب إلى المدرسة ولكن لا يمتلكن المال لشراء الملابس والقرطاسية وما أشبه ذلك.

فقد ورد عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أنه إذا أردت أن تنظر إلى أحسن الناس فانظر إلى من هو أكثر نفعاً للآخرين، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «خير الناس من انتفع به الناس» (١) فليس الذي يكتر من الصلاة فقط والذي يكتر من الذهاب إلى الحج، ويؤدي عباداته فقط من دون أن يسعى لخدمة الآخرين وهو أفضل.

فإن كثيراً من الناس بحاجة إلى المساعدة في كل المناطق والمدن، فلا بد للإسراع في فتح مثل هذه الصناديق؛ لمساعدة العوائل التي لم يدخل في بيتها الطعام المناسب، أو البيت الذي لا يملك الوقود لدفع البرد، أو المكيفة لتبريد الهواء والاحتياجات الأخرى التي تسد الحاجة.

٧: تأسيس صناديق التبرع لتسهيل أمور الزواج، فعلى الأخوات اللاتي يجتمعن في مثل هذه الحوزات والهيئات أن يسعين في تأسيس مؤسسات لدعم الزواج المبكر وصناديق لجمع الأموال والتبرعات، ثم صرفها لهذا الغرض. فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا رأى الشاب يقول له: هل لك زوجة؟ فإذا قال لا، عندها يتوجه إلى بعض المؤمنين أصحاب الخير والمال فيقول لهم: زوجوا هذا الشاب!

فإن الإسلام يهتم بشؤون الفرد الدنيوية والأخروية، وعندما كنا في كربلاء المقدسة كانت لبعض الأخوة مؤسسة باسم لجنة الزواج الخيرية، وكانت هذه اللجنة تختص في أمر تزويج الشباب، فكانوا يعطون للذي يريد الزواج قرصاً، فإذا كان الشاب يستطيع أن يرد القرض يؤخذ منه على شكل أقسام بسيطة وبعيدة الأمد، وأما إذا كان غير قادر على تسديد القرض فيجعلونه هبة له، بالإضافة إلى وجود المحسنين الذين يتبرعون بالمدافئ والأفرشة والأغطية، وغير ذلك من الحاجات اللازمة، وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن من سعى

١- أمالي الشيخ الصدوق: ح ٤ ص ٢٠ المجلس ٦.

في أمر تزويج الشاب سواء كان شاباً أو شابة فإن له حسنة في كل خطوة يخطوها (١)، وفي بعض الروايات أن الحسنة الواحدة أكبر من جبل أحد، ويعطي له هذا الثواب سواء وفق في سعيه أو لم يوفق.

٨: تشكيل الهيئات الحسينية في وسط النساء في كل المناطق.

٩: على النساء اللاتي يمتلكن الوقت الكافي أن يشتغلن في الأعمال الاجتماعية العامة التي هي عادة خارج المنزل ولكن مع حفظ الموازين الشرعية، فهناك الكثير من مدارس البنات الابتدائية وغيرها تفتقد المعلمات، وهناك الكثير من المستشفيات التي تفتقر إلى العدد الكافي من الممرضات، ولكون المرأة نصف المجتمع فعليها أن تدير بعض الدوائر الاجتماعية أيضاً - كل ذلك بشرط أن تصون عفتها وكرامتها، ولا يتعارض عملها مع أحكام الإسلام - فالمرأة لها حقوق كاملة كما للرجل، فإنكم إذا ذهبتم إلى الحج ترون النساء يؤدين مناسك الحج كالرجال، وهكذا قال الإمام الرضا (عليه السلام): ترون النساء يزرن كما يزور الرجال، والحال هذا في المساجد وغيرها.

التأكيد على الزواج

ومن أهم النقاط التي لا بد أن أكررها عليكم: أن تسهلوا أمر الزواج، فلا تضعوا العراقيل والحوجز أمام هذا الأمر الإلهي، فإن الشرط الذي يجب توفره في الرجل هو سلامة الدين والأخلاق، كما جاء ذلك في الروايات الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) فقد كتب علي بن أسباط إلى أبي جعفر (عليه السلام) في أمر بناته وأنه لا يجد أحداً مثله، فكتب إليه أبو جعفر (عليه السلام): «فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وإنك لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (٢). وليس الملاك هو نوع عمله وكسبه، فإذا كان يوفر رزقه عن طريق حلال فهذا يكفي، ولا تصروا على ضرورة امتلاكه رصيماً في البنك.. وغير ذلك من القيود التي لم يجعلها الله عز وجل معياراً في الشرع.

والآن بعد أن عرفنا وعرفت المرأة بعض ما لها وما عليها يمكننا أن نقول: إن المرأة لن تسعد ولن تهنأ، ولن تحقق ذاتها، ولن تشعر بعزتها وكرامتها، إلا في ظل الإسلام، كما نقول: لا منفعة ترتجيبها إلا في ظل الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لرضاه ولخدمة الآخرين وما فيه خير الإسلام والمسلمين، ونسأله تعالى أن يتفضل على مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإتابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة إنه سميع مجيب (٣).

١- انظر ثواب الأعمال: ص ٢٨٨.

٢- وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٠ ب ٢٨ ح ١.

٣- انظر البلد الأمين: ص ٣٤٩.

من هدي القرآن الحكيم

المثل الأعلى لنساء العالم

قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ...)) (١).

وقال سبحانه: ((فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ...)) (٢).

وقال عز وجل: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ...)) (٣).

المرأة والعمل الصالح

قال تعالى: ((وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...)) (٤).

وقال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ...)) (٥).

لا تفاوت بين الرجل والمرأة

قال تعالى: ((مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ...)) (٦).

وقال سبحانه: ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ

بِهِ أَيْمُسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ...)) (٧).

وقال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

١- سورة آل عمران: ٤٢.

٢- سورة آل عمران: ٦١.

٣- سورة التحريم: ١١.

٤- سورة النساء: ١٢٤.

٥- سورة الأحزاب: ٥٩.

٦- سورة الملك: ٣.

٧- سورة النحل: ٥٨ - ٥٩.

كثيراً ونساءً)) (١).

من هدي السنة المطهرة

المرأة في ظل الإسلام

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تعالى يوصيكم بالنساء خيراً فإنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم» (٢).

وقال مقاتل بن حيان: «لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)، دخلت على نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: هل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار! فقال (صلى الله عليه وآله): ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...)) أي المخلصين الطاعة لله والمخلصات» (٣).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرف منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة» (٤).

أقسام النساء

١: الأمهات

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال موسى بن عمران (عليه السلام) يا رب أوصني قال: أوصيك بي، فقال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بي، ثلاثاً، قال يا رب أوصني قال: أوصيك بأمك، قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأبيك، قال فكان يقال لأجل ذلك أن للأُم ثلثاً البر وللأب الثلث» (٥).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن الله تعالى يوصيكم بأمهاتكم ثلاثاً، إن الله تعالى يوصيك

١- سورة النساء: ١.

٢- نهج الفصاحة: ص ١٥٩ ح ٧٧٩.

٣- مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٥٧، في تفسير سورة الأحزاب: ٣٥.

٤- الكافي: ج ٦ ص ٦٦ باب فضل البنات ح ٧.

٥- أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١١ المجلس ٧٧ ح ٥.

بأبائك مرتين، إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب» (١).

وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: «أما حق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولن تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتظلك وتضحى، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وإتك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه» (٢).

٢: الزوجة

سألت أم سلمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن فضل النساء في خدمة أزواجهن؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيا امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه» (٣).

وجاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «إن لي زوجة إذا دخلت تلتقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأني مهموماً قالت: ما يهكم إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك، وإن كنت تهتم لأمر آخرتك فزادك الله همماً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن لله عز وجل عمالاً وهذه من عماله ولها نصف أجر الشهيد» (٤).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة سالحة: إذا رآها سرتة، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله» (٥).

٣: البنات

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة» (٦).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «نعم الولد البنات المخدرات من كانت عنده واحدة جعلها الله له سترًا من النار ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله بهما الجنة ومن كن ثلاثاً أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة» (٧).

وعن الجارود بن المنذر قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «بلغني أنه ولد لك ابنة فتسخطها! وما عليك منها، ريحانة تشمها وقد كفيت رزقها، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بنات» (٨).

٤: الأخوات

١- نهج الفصاحة: ص ١٥٨ ح ٧٧٨.

٢- أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٧١ المجلس ٥٩ ح ١.

٣- أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤١١ المجلس ٦٤ ح ٧.

٤- غوالي اللئالي: ج ٣ ص ٢٩١ باب النكاح ح ٥٢.

٥- قرب الإسناد: ص ١١.

٦- نهج الفصاحة: ص ٥٩٨ ح ٢٩٢.

٧- مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٦ ب ٣ ح ١٧٧٠٧.

٨- الكافي: ج ٦ ص ٦ باب فضل البنات ح ٩.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، فقيل يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة» (١).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من عال ابنتين أو أختين أو عمتين أو خاليتين حجبتاه من النار» (٢).

يوصيكم الله تعالى بالنساء خيراً

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» (٣).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «خيركم خيركم لنسائه ولبناته» (٤).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من دخل السوق فاشتري تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور..» (٥).

خير النساء

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خير النساء:

١: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً» (٦).

٢: «خير نساكنم العفيفة الغلظة» (٧).

٣: «خير نساكنم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها الذليلة مع بعليها..» (٨).

٤: «أكثرُوا الخير بالنساء» (٩).

١- الكافي: ج ٦ ص ٦٠ ح ١٠.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٨٢ ب ٢ ح ٦٩٩٤.

٣- نهج الفصاحة: ص ٥٦٨ ح ٢٧٥٠.

٤- نهج الفصاحة: ص ٣١٨ ح ١٥٢٢.

٥- أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٧٧ المجلس ٨٥ ص ٦.

٦- الكافي: ج ٥ ص ٣٢٤ ح ٤.

٧- الكافي: ج ٥ ص ٣٢٤ ح ٣.

٨- الكافي: ج ٥ ص ٣٢٤ ح ١.

٩- مكارم الأخلاق: ص ١٩٧ الفصل الأول في الرغبة في التزويج.

الحث على الزواج

عن الصادق (عليه السلام) قال: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات» (١).

من أخلاق الأنبياء

وعنه (عليه السلام) قال: «من أخلاق الأنبياء حب النساء» (٢).

فما للنساء؟

وفي حديث سنن (صلى الله عليه وآله) فما للنساء؟ قال (صلى الله عليه وآله): «إذا هي حملت كتب الله لها أجر الصائم القائم، فإذا أخذها الطلق لم يدر ما لها من الأجر إلا الله الواحد القهار، فإذا وضعت كتب الله لها بكل مصة - يعني من الرضاع - حسنة ومحا عنها سيئة، وقال (صلى الله عليه وآله): النفساء إذا ماتت من النفاس جاءت يوم القيامة بغير حساب؛ لأنها تموت بغمها» (٣).

١- مكارم الأخلاق: ص ١٩٧.

٢- مكارم الأخلاق: ص ١٩٧.

٣- غوالي اللئالي: ج ٣ ص ٢٩٣ ح ٥٤.